

## محوآوت رءع المهاجرن لا ءفلمح.. وعلى أوروبا أن ءفءح أبوابها

2015-09-08 وكلات

### رورء ىانج بىلءون

(روىءرز) - ءلال الصىف الحالى فر ربع مليون إنسان عبر البحر المءوسء على مراكب صغىرة وأطواف. أقرى المهربون المهاجرن وءءعوا بهم إلى مراكب صىء مءهالكة ووجهوهم للءجاه شمالا وطلب المساعءة عنءما ىءاوزون حقول البورى النفءىة اللىبة وىصلون إلى الممرات الملاحة ءءولىة.

ببساطة ىأمل المواطنون من سورىا وإرىءرىا ونىجرىا وإءىوبىا وجامبىا والصومال وبنءلاءش وعشرات غىرها من ءول ألا ىلقون حءفهم وهم ىءهون شمالا وسط الظلام. وءشءرى بعض الأسر عوامات أحواض السباحة لإبقاء أطفالها على قىء الحىاة وبعضا ىءفع مبلغا إضافىا للءلوس على سطح المركب بىنما ىنسحق الآءرون أسفلهم إذ ىسءءدمهم المهربون ءقلا بشرىا لءوازن المركب.

ولهؤلاء الءىن لا ىءحملون نفقات العبور على مراكب صىء من مصر أو ءونس ءوآء أطواف مطاطىة محلىة الصنع. وفى كءىر من الأحيان ءمزق الألواح الخشبىة الرقىقة فى أرضىة المركب المطاط ما ىؤءى إلى غرق الركاب فى البحر على بعء أمىال من الشاطئ. وىعرض المهاجرون أنفسهم لهءه الرحلة ءى قد ءفضى بهم إلى الهلاك لأنه لا ءوآء وسىلة آمنة للءروج من محءءهم. فهم ىءازفون بأرواحهم فى البحر وهم ىعلمون أنهم سىواجهون بلىة غضب شعوب ءنوب أوروبا - هءا إذا وصلوا فعلا إلى البر.

ها نحن نشهء عولمة الحدود حىء ىعءبر الناس العالم بأسرهم مكانا ىءءارون منه الموضع الءى ىسءهءفون فىه حىاة أفضل. وقد لا ىءفق أغلب الناس مع هءا الرأى لكن أزمة المهاجرن ءبرهن أنه

لا حيلة للحكومات في منعها.

ويستطيع الاتحاد الأوروبي بسهولة استخدام موارده لإجراء عمليات الفرز المسبق وتنظيم نقل الناس جوا إلى المناطق التي يريدونها. لكنه يوجه اللوم بدلا من ذلك للمهاجرين لا للنظام الذي يدفع بهم للموت. وتتسبب الوفيات في سخط عام ما يؤدي بدوره إلى عمليات إنقاذ تؤدي إلى ردود أفعال معاكسة عندما ينتهي الحال بالوافدين الجدد للضغط على النظم الاجتماعية وأجهزة الشرطة في أوروبا. ثم يشدد الساسة مواقفهم ويقيمون الحواجز إلى أن يسقط المزيد من القتلى بفعل المهربين قساة القلوب المتبلدين فتبدأ الدورة من جديد.

وبكل بساطة لم تستطع أوروبا ولن تستطيع ولا تقدر على وقف طوفان البشر الساعين لحياة أفضل. ولذلك فعليها أن تتعامل مع هذا الوضع بأسلوب إنساني وقانوني وبسرعة.

القوارب هي أبرز الوسائل أمام المهاجرين وأكثرها استماتة للوصول إلى أوروبا. ويصيب الذعر الركاب في عرض البحر فيندفع كثيرون منهم إلى أحد جانبي المركب عندما يرون النجدة فتتقلب مراكبهم ويغرق الموجودون في الأسفل ومن لا يستطيع العوم. وما صرخاتهم إلا الموسيقى التصويرية لعمليات الإنقاذ اليومية في البحر المتوسط.

وقد قام موقع مايجرانت ريبورت دوت أورج الذي أتولى نشره بتوثيق هذا الرعب. وتتلخص البشاعة بصفة خاصة في صور الأطفال الغرقى.

والرأي السياسي أن حوادث الغرق هي في حد ذاتها رادع لمن يفكرون في الهجرة رأي أجوف باطل. فهي ليست كذلك. بل من المدهش في واقع الأمر أن العدد الأكبر من 59 مليون نازح في مختلف أنحاء العالم وكذلك شعوب أفريقيا والشرق الأوسط مجتمعة لا يتجهون إلى أوروبا.

فحركة البشر من الأوضاع الرديئة إلى أوضاع أفضل تبدأ في أفريقيا والشرق الأوسط. وطبقا لبيانات مفوضية الأمم المتحدة للاجئين فإن 63 في المئة من كل المهاجرين إلى أوروبا سوريون. وقد أخرجت الحرب في سوريا وحولها تسعة ملايين إنسان من بيوتهم. ومنذ بدأت الحرب في مارس

آذار 2011 لم يسمح بالفعل بدخول أوروبا سوى لعدد 150 ألفا.

وأصيب قارئو الأخبار بالصدمة لرؤية مئات الغرقى من المهاجرين في النصف الأول من هذا العام. أما الآن وقد بدأت البحرىات الإىطالىة والىرلندىة والبرىطانىة وجماعات خاصة مثل محطة المساعدة البحرىة للمهاجرىن (إم.أو.إىه.إس) تجوب البحر المتوسط فقد أصبحت عملىات الإنقاذ فى البحر أكثر شىوعا.

وتستخدم إم.أو.إىه.إس (اللى أعمل بها مستشارا) مركب صىد من ألاسكا وفرق بحث وإنقاذ محترفة بالإضافة إلى أطباء من جماعة أطباء بلا حدود لإنقاذ المهاجرىن المعرضىن لخطر الغرق. وقد أسس كرىستوفر ورىجىنا كاترامبون هذه المؤسسة اللى لا تهدف للربح عام 2014 عندما كانت 30 إلى 40 فى المئة من عملىات الإنقاذ تقوم بها سفن تجارىة كبرىة وزوارق صغىرة لخفر السواحل والسفن الكبرىة للبحرىات. والغرض الوحىد لمؤسسة إم.أو.إىه.إس هو إنقاذ المنكوبىن فى عرض البحر. وحتى الآن أنقذت أكثر من عشرة آلاف رجل وامرأة وطفل.

وتسىر إم.أو.إىه.إس طائرات كامكوبتر دون طىار من طراز شىبل إس-100 داخل المجال الجوى اللىبى حتى يمكنها التعرف على المهاجرىن الذىن يواجهون أزمة وتصل إىلهم سرىعا. والمؤسسة وغىرها جزء من حملة إنقاذ بحرىة منسقة تذكر بأزمة القوارب الفىتنامىة عام 1979 بعد سقوط سايجون أو حتى عملىة الإنقاذ فى دنكىرك.

وحتى الآن فى 2015 وصل أكثر من 250 ألفا إلى أوروبا بحرا وغرق أكثر من ألفىن وهم يحاولون الوصول. وسبب وجود هذه الحركة العائمة الجماعىة أن أوروبا رفضت حتى الآن معالجة الطوفان البشرى الهائل الواصل إلى حدود الاتحاد الأوروبى معالجة سلمىة.

وتوضح استطلاعات الرأى أن نحو 80 فى المئة من جنوب أوروبا الذى يتحمل العبء الأكبر للهجرة لا ىرغب فى هؤلاء الوافدىن الجدد. أما شمال أوروبا فأكثر ترحىبا بأعداد تبلغ نحو نصف هذا العدد. وقد شكلت آراء الناخبىن فى الأزمة سىاسة التشدد فى أوروبا وهو ما ىمكن رؤىته فى صور الأسر اللى أطلق عليها الغاز المسىل للدموع وهى تحاول عبور الأسلاك الشائكة فى مقدونىا

والمهاجرين الممنوعين من ركوب القطارات في بودابست أو يعيشون في أكواخ متهالكة مثل "الغابة" خارج كاليه.

وإذا لم يقبل هؤلاء اللاجئون ضمن العدد الضئيل من أماكن اللجوء في أوروبا فليس أمامهم مكان آخر يتوجهون إليه في نظام يعتبرهم "غزوا" والبحر المتوسط كأنه خندق مائي على غرار خنادق العصور الوسطى. حان وقت تغيير الوضع لأن المشكلة بقيت كما هي بكل عناد بل وتتزايد بوتيرة سريعة. فقد بلغ عدد المهاجرين الذين دخلوا أوروبا في الأشهر الستة الأولى من 2015 مثلي العدد الذي دخل في عام 2014 بأكمله.

وعلى النقيض من أمريكا فإن أوروبا ليست معتادة على الهجرة ولذلك فإن بعض الدول تفضل الموت البطيء من الداخل على احتضان النمو الذي تجلبه معها هذه الموجة. فالدول التي تعارض المستوطنين الجدد أشد المعارضة لديها إحصاءات قاتمة. إذ أن سكان المجر ولاتفيا وأوكرانيا وبلغاريا ودول كثيرة يتناقصون بل ويشيخون. وبعض الدول مثل اسبانيا لديها بالكاد معدلات نمو ملحوظة. وفي إيطاليا حيث النمو السكاني ضعيف بالمثل توجد قرى جبلية ترحب بالمهاجرين لدعم الاقتصاد وسكنى البيوت الخاوية.

ويذكر وضع المهاجرين اليوم بما كان عليه الحال قبل 70 عاما عندما أبحر ملايين الأوروبيين في سفن إلى أمريكا وأستراليا وكندا. وتخلق كل موجة من موجات الهجرة الخوف والاستياء لكن المهاجرين يشكلون في نهاية الأمر نسخة جديدة من البلد الذي أتوا إليه.

وهذا الأسبوع بعد اكتشاف 71 قتيلًا من المهاجرين في شاحنة لنقل اللحوم في النمسا وغرق أطفال رضع قبالة الساحل الليبي رأينا زعماء العالم أخيرا يحاولون شيئًا مختلفًا. فقد وجه بان جي مون الأمين العام للأمم المتحدة نداء شخصيا يستحث فيه على "الرحمة والإنسانية". ودافعت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل عن المهاجرين قائلة إن "حرية الانتقال مبدأ أساسي من مبادئ أوروبا". وأعلن رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس أن "مسؤوليتنا جميعا هي ضمان احترام حق اللجوء... في كل مكان. فلا يمكن لأحد أن يتفاداه بالأسلاك الشائكة".

وإلا فلتدمروه مع المراكب الغارقة.

\* روبرت يانج بيلتون صحفي ومؤلف وهو أيضا ناشر موقع مايجرانت ريبورت دوت أورج إلى جانب كونه مستشارا استراتيجيا لجماعة إمأو.ايهإس الخاصة لمساعدة المهاجرين  
<http://ara.reuters.com/>

.....

\* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية